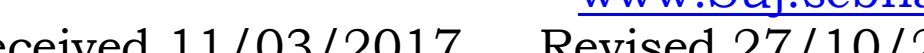

مجلة العلوم الإنسانية
Journal of Human Sciences


www.Suj.sebhau.edu.ly



Received 11/03/2017 Revised 27/10/2017 Published online 01/01/2018

أوضاع طرابلس الغرب الاقتصادية والسياسية والثقافية كما وصفها الرحالة الورثيلاني (1731-1769م)

السنوسي عقيلة

كلية الآداب- جامعة سبها، ليبيا

الملخص

تعد الرحلات سجلاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً للمناطق والأماكن التي مر بها الرحالة، والرحلة الورثيلانية التي قام بها الحسين بن محمد السعيد الشريف المتوفي سنة 1781 م والمعروف بالورثيلاني صاحب أحدى الرحلات المغربية التي تعد منعطفاً هاماً في تاريخ الرحلات والتي مرت بطرابلس الغرب أثناء رحلات الحج، هذه الرحلة التي سماها صاحبها "نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والتي وصفت أحوال طرابلس في العهد القرمانالي وصفاً دقيقا، خاصة في عهد علي باشا الذي حكم طرابلس أثناء هذه الرحلة.

المقدمة

تعد الرحلة نوعاً من الحركة، ومنبعاً لمختلف العلوم، ومصدراً للثقافات الإنسانية وسبيلاً لرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين في فترة زمنية محدودة، وسجلاً حقيقياً لمختلف مظاهر الحياة الإنسانية ومفاهيم أهلها على مر العصور.

وتمثل الرحلات سجلاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً للحياة التي كانت تحياها الشعوب التي مر بها هؤلاء الرحالة.

وأيالة طرابلس الغرب كما كان يطلق عليها في العهد القرمانلي (1711- 1835) وهي من ضمن البلاد التي زارها الرحالة المغاربة أثناء رحلاتهم لأداء فريضة الحج أو في طلب العلم إلى بلاد المشرق العربي كالعراق ومصر والشام وبيت المقدس ومكة والمدينة.

ويعد الورثيلاني (الحسين بن محمد السعيد الشريف) المتوفي 1781م من أشهر هؤلاء الرحالة الذين قاموا برحلات إلى المشرق، مر بطرابلس الغرب ووضع مشاهداته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسجل كل ذلك في رحلته التي سماها(نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار).

وتكمن مشكلة البحث في أن الرحلات التي يقوم بها الرحالة تتميز بدقة الوصف ووفرة التفاصيل والأحداث العادية واليومية التي لا تتوفر في غيرها من الكتب التاريخية ، وهذا ما يتناوله البحث في رحلة الورثيلاني.

وتأتي أهمية البحث في أنه يتناول موضوعاً جديداً في التاريخ الحديث وهو ما يطلق عليه (تاريخ الرحلات) فالورثيلاني زار طرابلس الغرب أو قل مر بها في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت تحت حكم الأسرة القرمانلية وهي أيالة تتبع اسمياً فقط الدولة العثمانية.

ويهدف البحث إلى إبراز أهمية الرحلة في تسجيل المشاهدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لطرابلس الغرب، و كان الورثيلاني خير شاهد على أحوالها.

أما عن أسباب اختيار البحث فإنه يمثل وصفاً لأوضاع طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر فظلاً عن رغبة الباحث في دراسة تاريخ الرحلات المغاربية لما تتضمنه من وصف تاريخ ليبيا الحديث.

ويبدأ الإطار الزمني للبحث من 1731 م وهو العام الذي بدأ فيه الرحالة رحلته الأولي لأداء فريضة الحج بصحبة أبيه والعام 1769م هو العام الذي انتهى فيه من كتابة رحلته.

أما فرضيات هذا البحث فتتركز على الإجابة على جملة من التساؤلات أهمها.

1- هل التزم الورثيلاني بالصدق في كل ما سجله من مشاهدات للأحداث.

2- هل استشهد الورثيلاني بما أورده غيره من الرحالة بوصف الأماكن والآثار.

3- ما هي أسباب فقدان النشاط الزراعي قدرته الإنتاجية.

4- هل اهتم العثمانيون عامة والقرماليون خاصة بتطوير النشاط الصناعي في طرابلس الغرب.

5- هل كان للصوفية الحظوة الكبرى لدى حكام طرابلس وعامة الناس أكثر من اهتمام حاكم طرابلس بالتعليم.

وأُتبعَ في البحث المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي حيث وصف وسرد وتحليل الأحداث من خلال كتاب (الرحلة الورثيلانية) ، إلى جانب بعض المراجع المساعدة.

ترجمة حياة الورثيلاني ورحلته:

هو الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، الذي ينسب إلى مسقط رأسه قرية بني ورثيلان؛ حيث استقرت عائلته التي كانت من الأشراف، وتوارثت العلم وأشتهرت بالتقوى والصلاح، بعد أن غادرت موطنها الأَصلي بجاية في عهد جده المعروف بابن علي البكاي، مفضلة الإقامة بين عشيرة بني ورثيلان بمنطقة القرقور بالقبائل الصغرى [i] ، ولد الشيخ الحسين الورثيلاني عام 1713م وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ببني ورثيلان وعندما شب درَس في بعض الزوايا ومعاهد العلم بناحية القرقور جهة جرجرة ، ثم استكمل معارفه الفقهية واللغوية بالتتلمذ على علماء عصره أمثال الشيخ البليدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والعمروسي والصعيدي وخليل المغربي من علماء الأزهر الشريف بمصر[ii] ، ثم زاد اطلاعه على ثقافة عصره بعد أن عقد الصلات مع بعض علماء المشرق أمثال الشيخ أحمد الزروق عند تردده على البقاع المقدسة ثلاث مرات بغرض تأدية فريضة الحج ؛ فقد كانت حجته الأولى عام 1731 م وهو ابن الثامنة عشر ، وأثناءها كان بصحبة أبيه ، أما احجة الثانية فقد أداها عندما بلغ الواحدة والأربعين عام 1754 م، بينا أتم الحجة الثالثة ، التي استمرت ثلاث سنوات حتى عام 1767 م واتم كتابتها عام 1769م، وتعرف فيها على كل من تونس وطرابلس ومصر[iii] قبل أن ينتهي به المطاف في الحجاز، وبعد عودته من الحج عام 1769م، أعتكف للعبادة وانقطع للتدريس والوعظ والإرشاد بمسجد عائلته ببني ورثيلان ، فاشتهر أمره وقصده الزوار وطلبة العلم من مختلف الجهات ، حتى وافته المنية عام 1781م، عن سن ناهز 68 سنة، تاركاً وراءه ذكراً حسناً وتراثاً علمياً يتمثل في عدة مصنفات وتآليف عرف منها شرحه المنظومة القديمة في التصوف للشيخ عبد الرحمن الأخضري وحاشيته على السكاكي والمرادي، وحاشية علي صغير الخرشي ، كما نظم قصيدة في مدح النبي ﷺ[iv]، على أن أهم ما اشتهر به الورثيلاني وعرف به هو رحلته التي سجل فيها أسفاره داخل الجزائر وخارجها وضمنها بالخصوص أخبار رحلته إلى الحج، وقد وضع لها عنواناً يناسب مضمونها، وهو: (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار). وقد نشرت هذه الرحلة من طرف الباحث الجزائري محمد بن أبي شنب، اعتماداً على عدة نسخ محفوظة حاول المحقق جاهداً مقارنتها وتسجيل ما ورد فيها من اختلاف أَو حذف أَو تحريف أو إضافة، وقد طبعت بمطبعة فونتانا بالجزائر العاصمة عام 1908م ، وقد كانت الرحلة موضوع تعليق وإضافة ودراسة تحليلية نشرها الأستاذ الحاج الصدوق في المجلة الأفريقية تحت عنوان :(مع الرحلة الورثيلانية عبر المغرب الأدنى في القرن الثامن عشر الميلادي[v]).

وقد اكتفى بما يهم الجزائر من هذه الرحلة ، وعلى كل فإن رحلة الورثيلاني تعد مصدراً تاريخياً لا يمكن الاستغناء عنه لمعرفة أوضاع الجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز في القرن الثامن عشر الميلاي ، وذلك لما تضمنته من أَوصاف دقيقة وما أحتوته من معلومات كثيرة عاشها المؤلف وعاينها وحاول التثبت فيها بالرجوع إلى الرحالة السابقين الذين وصفوا هذه الأقطار أمثال العبدري والبكري والعياشي وابن ناصر والتيجاني وغيرهم.

والجدير بالذكر أن طريقة الورثيلاني في سرد الأحداث وتسجيل الوقائع وعرض الروايات والأقوال المختلفة كانت تتصف ببعض الخصائص التي تزيد الباحث ثقة في أقواله وصدق روايته ومن هذه الخصائص نذكر:

- التزامه بالصدق في كل ما يسجله من أَحداث ووقائع ؛ فهو يدلي برأيه بكل صراحة ويجاهر بالحق إن رأى في ذلك مصلحة عامة حتى إنه في معرض حديثه عن حاكم طرابلس علي باشا القرمانلي لم يتردد أن يدلي إليه بهذه النصيحة:"وقلت له عند اجتماعي به فلابد أن تجعل محلاً يصل إليه جميع الناس يبثون إليك شكواهم ... وأما الآن فلا يراك إلاأهل دولتك فربما أَظهروا لك غير ما كان شراً أو خيراً"[vi].
- اتصافه بالورع والتصوف والتواضع؛ فكان يكثر في أثناء ذكره للأشخاص الذين تعرف عليهم من عبارات الشكر والمديح والإجلال، كما كان يبدي تقربه وتعلقه برجال العلم ، ويهتم بزيارة أضرحة الأولياء والدعاة، وقد رأى فيهم قدوة حسنة حتى إنه ذكر أن الغرض من تسجيل رحلته "إنما يكمن في ذكر الإخوان المحبين وبيان أوصافهم ليتحقق السامع بأحوالهم ويتصف بأوصافهم"[vii]

- تحريه الحقيقة في كل ما عاينه أو سمعه، حتى إنه كان يلتجئ في بعض الأحيان إلى الاقتباس من كتب الرحالة السابقين، أمثال أبي سالم العياشي وابن ناصر والتيجاني، والعبدري، والبكري، حتى يؤكد روايته ويستكمل وصفه فهو مثلاً لم يرى مانعاً من الاستعانة بوصف البكري للتعرف على أوضاع برقة وأوصافها(viii).
- ابتعاده عن الخرافات والأوصاف المبالغ فيها، إذ لا يميل إلى تسجيلها وإن اضطر إلى التعرض لها والإشارة إليها فهو غالباً ما يعقب عليها بقوله والله اعلم، ويعلق عليها بذكر الأحكام الشرعية والآراء الفقهية المتصلة بها، وغالباً ما يدرجها تحت عنوان نوادر أو لطائف أو انعطاف أو تتمة أو أثر كلمات نعم أو تنبيه أو قلت ونحوها(ix).
- تميزه بأسلوب تغلب عليه المحسنات اللفظية ويكثر فيه ترادف الكلمات وتضمين العبارات من القرآن والحديث الشريف، مما يضطره في بعض الأحيان إلى إدراجه كلمات يفهم منها المبالغة والأطناب مثل وصفه أجدابيا بأنها أحسن الأرضين وسرت بلدة طيبة لا نظير لها .... وبأنها أخصب البلاد وفيها فاكهة، ونخل ورمان ، وبأن بساتين ساحل حامد روضة الرياضي، كما أن خصب الجبل الأخضر لا نظير له ومصراته وصفها بأنها بلدة طيبة ورب غفور (x)، وعلى كل فإن هذه الأوصاف لا تقتصر من دقة وصف الورثيلاني وقيمة معلوماته وصدق روايته.
- اعتباره التاريخ وسيلة تعليمية تهذب النفس وتحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية، وتحث على الأخلاق الكريمة؛ فالغاية من كتابة الأخبار وتسجيل الروايات عند الورثيلاني تكمن في كون هذه الأخبار والروايات عبرة وموعظة للإنسان المؤمن؛ فهو يذكر في هذا الصدد :"أن أوصاف الطريق وبأن المواضع فيه اعتبار ودلالة على آثار قدرة الله تعالى وتسخير الأكوان لنا والتنقل من حالة لحالة ليرتقي بذلك صالح السلوك وأن هذا الطريق أشبه شيء بطريق الأخرة، وناهيك بشيء يكون سبباً للوصول إلى مرضاته ... وبينها أيضاً التبصر والتسلي والناس"(xi).

أدت طرابلس الغرب دوراً مهما في ربط المغرب العربي بالمشرق العربي وساحل البحر المتوسط الشمالي بمناطق وسط الصحراء ، وهذا راجع لأهميتها حلقة وصل بينهما، وقد تمثل ذلك الدور بقوافل الحجاج المغاربة والرحالة والتجار إلى الأراضي الطرابلسية وهم في طريقهم إلى وسط القارة الأفريقية(xii).

وكانت طرابلس قد حظيت بنصيب كبير من الرحلات العربية – وخاصة المغاربية منها– والذين أولوها اهتماماً خاصاً عند عبورهم والإقامة فيها فترة من الزمن فكتبوا عن الجوانب السياسة والاجتماعية والاقتصادية والدينية والجغرافية وقدموا معلومات عن طبيعة البلاد وحكامها وقادتها وعلماها وفقهاءها وذلك عند الذهاب والعودة (xiii).

تمثل طرابلس بحكم موقعها الجغرافي واسطة العقد للشمال الأفريقي وجنوبه ولذلك قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الدول التي تعاقبت عليها فعن طريقها تقدم العرب لفتح المغرب، وعن طريقها انساحت القبائل العربية من ربوع المغرب تحمل معها عقيدتها ولغتها وحضارتها وكما كانت طرابلس مدخلاً إلى المشرق والى قلب العالم الإسلامي وحلقة وصل بين الشرق والغرب بل و كانت المدخل إلى الغرب كله ، كما كانت نقطة الانطلاق نحو إفريقيا(xiv).

لهذا اتجهت أنظار الرحالة إليها ، متخذين الطريق البحري تارة والطريق البري تارة أخرى وكان هذا الطريق البري من أهم المعابر التي سلكها المسافرون والتجار والرحالة إلى الأراضي المقدسة ذهاباً وإياباً وأشهرها الطريق الساحلي الصحراوي الذي يبدأ من المحيط الأطلسي وينتهي عبر الأراضي المقدسة ، ويمر هذا الطريق بعديد من المدن المغربية والجزائرية حتى يصل مدينة صفاقس بتونس، ثم يتجه شرقاً على طول الساحل حتى يصل مدينة طرابلس وهذا الطريق يتخذ اتجاهات عدة فنجده يتجه من طرابلس شرقاً ماراً ببعض المدن الساحلية مثل تاجوراء، الخمس، وزلطين، ومصراته ، وتاورغاء، وسرت، والهيشة، وأجدابيا، وسلوق، مروراً بالخروبة والتميمي ثم يتجه إلى العقبة ومنها إلى الإسكندرية(xv).

ويعتبر هذا الطريق طريقاً رئيسياً للبحر، كما يعد الطريق التاريخي الذي يمتد من برزخ السويس شرقاً إلى منخفض نارا غرباً وتتصل بهذا الطريق العديد من الطرق الفرعية والرئيسية (xvi).

مواطن المياه في طرابلس بحسب الرحلة الورثيلانية:

أعطى الورثيلاني وصفاً لمظاهر السطح في طرابلس وما جاورها حيث إنه تناول كغيره سهل الجفارة الذي يعد من

أهم السهول وأكبرها، وهذا السهل يشمل مساحة شاسعة من الأراضي يمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى الجبال في الجنوب ويبلغ طوله من الشرق مائة وستين كم، وأقصى اتساع له مائة وخمسة وعشرين كم، أما مساحته الكلية فهي 37000 كم² اذا ما أضفنا الجزء الذي يقع في داخل طرابلس من هذا السهل [xvii] يعطي الورثيلاني عند مروره للحج وصفاً لسهل الجفارة ومظهره الجغرافي فقال:" واصلنا سيرنا في أرض ذات منخفضات وشعاب وعرة وخطرة وشاهدنا سيولاً كثيرة من جراء الأمطار التي تهطل على هذه الأماكن وقد سقى الناس دوابهم وشربوا وقد بتنا بهذا المكان في سفح جبل النقازه "[xviii].

أما إقليم سرت فهو غير عسير ولكنه صعب الاجتياز وكثير المخاطر ويعد نقطة انتقال بين برقة وطرابلس، وهو أرض رملية منخفضة يحتوي على سلاسل مرتفعة وطويلة من الكثبان الرملية المتحركة تتصف باللون الأبيض البرّاق [xix].

ولم تحظ منطقة سرت التي تعتبر نقطة فاصلة بين طرابلس وبرقة باهتمام الرحالة إلا من ناحية تتبع نقاط المياه من آبار و أودية [xx]، وأشار إليها الورثيلاني إلى ذلك فقال "والزعفرانة هي إحساء على ساحل البحر وماؤها رطب المذاق وتحيط بها الكثبان الرملية ذات اللون الأحمر، وخلف هذه الكثبان تظهر قصور سرت التي تخزن فيها الأهالي أرزاقهم وهي الآن خالية من السكان لا عمارة فيها "[xxi].

وبما أن طرابلس عديمة الأنهار لكنها تمتاز بوجود العديد من الأودية والآبار والعيون ، والتي اهتم بها الرحالة الورثيلاني ووصفها بدقة ففي منطقة طرابلس نجد أن الاودية كثيرة وهي غالباً ما تكون قصيرة وضعيفة في مجراها وتنبع هذه الأودية من مرتفعات غريان و ترهونة [xxii] وأول تلك الأودية، وادي كعام الذي يعد من الأودية المهمة في منطقة شرق طرابلس ويستغل للنشاط الزراعي وللشرب قديماً وحديثاً [xxiii] ويستمد هذا الوادي مياهه من المرتفعات الشمالية إلى جانب تغذيته بعدد من الروافد التي تنبع من المنحدرات الجنوبية لجبال ترهونة ومسلاته حيث تلتقي في مجرى واحد، وتواصل سيرها حتى تصب في البحر قرب زلطين ويبلغ طوله ثمانين كم[xxiv].

يعد هذا الوادي مصدراً للمياه منذ القدم حيث كان يغذي مدينة لبدة يقول الورثيلاني:" وادي كعام في بناء متقن يحار الناظر فيه، وأثر الماء باق إلى اليوم"[xxv].

أما وادي الرمل فهو من الأودية المهمة في شرق طرابلس و تجري المياه فيها طيلة أشهر السنة وخاصةً في أجزائه العليا ويبلغ طول مجراه خمسة وأربعين كم، ويبدأ هذا الوادي من الشرشارة وهي مجموعة من العيون في قاع الوادي بالقرب من ترهونة ويتجه الوادي منحدراً نحو الشمال جنوب البحر بطول 45 كم ، ويتميز هذا الوادي باختفاء مياهه في بعض المواضع ثم تظهر من جديد على شكل ينابيع في قاعه ويغذي هذا الوادي عدد من الروافد منها وادي ساريا عند روافده الشرقية [xxvi] يقول الورثيلاني " وادي الرمل واد متسع ماؤه لا ينقطع في جميع الأزمنة الأربعة"[xxvii]، وقال "مررنا بوادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه ومبدأه من الجبال قاطعاً إلى البحر وهو وادي مخصب في أعلاه واصل مائه من عيون تنبع في أثنائه من مسافة قريبة من الجبل"[xxviii]وهذه المسافة الطويلة التي يقطعها الوادي خلال سيره تفقده كميات كبيرة من المياه ولكن بالرغم من ذلك يحافظ على مستواه بسبب روافده العديدة وهي وادي المسيد أتورغوت، غنيمة الهبرة، ولبدة، وهي تستمد مياهها من جبال مسلاته وهي تعد أهم روافده"[xxix].

ومر الورثيلاني بوادي المسيد الذي يستمد مياهه من جبال تروهونه ومسلاته فيقول "مررنا بوادي المسيد فوجدناه من أخصب الوديان لا نظير لها ومياهه غزيرة دائمة الجريان لا تنقطع طول السنة وهو يستمد مياهه من الأمطار التي تسقط على جبال مسلاته"[xxx]، ويعتبر وادي مسوس من أهم وديان سرت ووادي سوف الجين الذي يبدأ من جنوب مرتفعات طرابلس بالقرب من جادو ويفرن ويسير حتى يصب في سبخة تاورغا كما يوجد وادي زمزم الذي يصب هو الآخر من السبخة والي الكبير الذي يبدأ من مرتفعات الهروج من الجنوب وينطلق حتى يصب في سبخة تاورغا ووادي ميمون والردومو وبعض الوديان الأخرى [xxxi].

وهناك عدد من الآبار العادية و كانت تمتلئ بالمياه الجوفية متوفرة في طرابلس يقول الورثيلاني " نزلنا في الزورات الخالية فسقينا الماء وأوردنا الخيل والبغال والإبل وماؤها عذب حلو أحسن المياه"[xxxii].

أما مياه القسم الشرقي من إقليم طرابلس فقد أورد الورثيلاني معلومات بشأن المياه الموجودة شرق طرابلس ؛ حيث أكد على ما قاله الرحالة قبله فقال " بلدة ساحل حامد بلدة طيبة ذات زيتون ونخيل وعمارة يبدو حسنها للرائي لا نظير لها لكثرة مائها واتساع أرضها"[xxxiii].

وهذه الموارد المائية التي يحتوي عليها الإقليم جعلت منطقة طرابلس منطقة إنتاجية للنشاط الزراعي والرعوي وبشكل كبير مما جعل البلاد في تلك الفترة تعتمد على إنتاجه وخاصة من الجنوب [xxxiv].

ونالت آبار ومعاطن سرت اهتمام الورثيلاني كغيره من الرحالة المغاربة فقد أورد معلومات عن معطن النعيم الذي يطل على ساحل البحر والذي كان يعتمد عليه الرحالة والمسافرون فقال " ونزلنا النعيم وماؤها حلو طيب ابيض مثل اللبن في غاية العذوبة"[xxxv].

كما وصف معطن الزعفرانة الذي يقع على ساحل سرت بقوله " وأرض الزعفرانة زيوة طيبة هضبة قل نظيرها منيقة كثيرة الأنوار في الربيع"[xxxvi].

وأكد الورثيلاني على أهمية معطن المنعم الذي يقع في ساحل سرت والذي كان له أهمية كبيرة في تزويد المسافرين والأهالي بالماء منذ أمد بعيد عندما مر به سنة 1766م قاصداً الحج فقال" ونزلنا المنعم وماؤها حلو طيب أحلى ما يذاق وأرضه طيبة " [xxxvii].

وكما سبق القول مر الورثيلاني بطرابلس في العهد القرمانلي ؛ فقد وصلها فترة عهد الوالي علي باشا القرمانلي الذي تولى حكم الإيالة في طرابلس بعد وفاة والده 1745 م وكانت الإيالة تعيش في أسوأ أوضاعها ؛ حيث واجه الوالي مجموعة من المتمردين في العديد من مناطق الإيالة[xxxviii]إلى جانب الضغوطات الأوربية المتواصلة غير أنه تمكن من التغلب عليها[xxxix].

وقد سجل الرحالة الحسين الورثيلاني في طرابلس وهو في طريقه للحج الأوضاع فترة حكم الوالي علي باشا بجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية جعله شاهد عيان على أحداث تلك الفترة ، و أشار الورثيلاني في شهادته على تولي علي باشا الحكم فقال" ولما أقبل إلينا السيد علي باشا نجل السيد محمد باشا نجل الوالي أحمد باشا في الحجة الأولى أدركت جده وفي الثانية أدركت أباه في الطلعة وفي الرجعة أدركته هو جعل الله عاقبته خيراً من أوله"[xl].

الجوانب السياسية في إيالة طرابلس في الرحلة الورثيلانية:

من جانب آخر أوضح الورثيلاني أن السياسة التي كان عليها علي باشا حسب شهادته فيقول:(وإنما منعني من الاجتماع معه كثرة الحجابين وأهل الحضر من الدولة أعني المماليك، والقادة والعمال، وغيرهم من رؤساء العسكر،وأهل الوجوه من أهل البلد)[xli].

كانت التمردات كثيرة التي قامت ضد الوالي علي باشا وتأثر السكان بها مما جعله يقدم نصيحة إلى الوالي علي باشا القرمانلي حتى يصلح أمره مع الأهالي قال" لما اجتمعت معه قلت له اقبل الخير ولو من عدوك ولا تقبل الشر ولو من صديقك ، أن المحسن يجازى بالإحسان"[xlii].

وقال " فلا بد أن تجعل محلاً يصل إليك فيه جميع الناس يبثون إليك شكواهم وتنظر الظالم من المظلوم فتنصره والظالم تقهره والسائل تجود عليه والعالم تعزه وتقره ؛ فترى الناس وما هم عليه من الظلم والهرج والخديعة والصدق والكذب والديانة وغيرها فتباشرهم وتتولاهم على ما هم عليه وأنت راع وكل راع مسؤول عن رعيته فلا تشتغل بشهوات النفس مع أزواجك وخدامك ومماليك وتترك الناس عن الاهتمام ، فإتق الله في نفسك وفيهم واجزر الظالم من المظلوم وكن حليماً عليهم بلسان الشرع إذ كل حق يضيع فأنت ضامن شرعاً فلا يمسك تقصير وتفريط فيسمع حينئذ ما قلت له "[xliii].

كانت هذه النصيحة للوالي علي باشا القرمانلي دعوة له من أجل تغيير سياسته المجحفة والظالمة المفروضة على الأهالي تأكدت لقول الورثيلاني"وما الآن فلا يراك أهل دولتك ، فربما أظهر ذلك غير ما كان شراً أو خيراً أفتساعدهم فيهلك الناس أو تترك الأحكام بحيث تترك الناس على أغراضهم فتظن أن ذلك ملم بهم وشفاعة عليهم "[xliv] وقال " لا تصل إليه الشكوى لقوة خبائه وعدم ظهوره فلا يصل إليك جمعهم"[xlv].

على الرّغم من تلك النصائح التي قدمها الورثيلاني للوالي علي باشا القرمانلي والنعوت التي جاءت في شهادة له ، نصحه فيها بتغيير سياسته تجاه الأهالي نجده يقدم شهادة بمدحه قال فيها " لا يتعاظم على جليسه مبسوط الوجه غير منقبض مرتب الكلام ولا يقاس بفضله يفصله ليس بلعان ولا سباب رحيم بالمؤمنين مقيل العثرات ومقيل الشفاعات زاده عقلاً وحلماً وصبراً وهداية ورعاية حسنة و إن تخليد الولاية في ذريته إلى قيام الساعة مع العدل والحلم من أهل العدل والإحسان والرحمة للأمة المحمدية وذلك السيد علي باشا نجل الوالي محمد باشا نجل الوالد أحمد باشا"[xlvi].

كانت هذه الشهادة التي قدمها الورثيلاني تظهر الوالي علي باشا القرمانلي بالرجل الفاضل والعامل والدعوة له بدوام سلطانه كانت متناقضة مع شهادته الأولى وهذا يبدو بسبب الحفاوة والتكريم الذي لاقاه من قبل الوالي علي باشا ورجال دولته من وزراء وكتاب وقادة وجند وأعيان البلد بدليل قوله " ومن بالغ في حبنا وإكرامنا وتعظيم جانبنا كانت الحضرة السلطانية أيده الله ووزيره وسلطانه يوسف الكيخيا فإنه يعظم جانبنا ويقضي حوائجنا فلا يعز عليه شيء من أمورنا ، وأما الأمير الفاضل والمعظم الكامل خلد الله الملك في ذريته ، السيد علي باشا فإنه قد أجاد في حبنا وبالغ في تعظيمنا وإكرامنا وخدمتنا "[xlvii].

بين الورثيلاني الأوضاع في مدينة طرابلس التي تعد مركز السلطة العثمانية منها يصدر القرار الذي يصنع وفق رغبات زعماء الإيالة ومصالحهم الخاصة وخاصة في الميدان البحري مما أدى إلى إضعاف إيالة طرابلس خاصة ، فتفشت سياسة القتل والمطاردة والسلب والنهب للأهالي في مختلف أنحاء طرابلس ضد معارضي علي باشا القرمانلي الأمر الذي زاد من الفوضى في أنحاء طرابلس ونواحيها [xlviii].

يقول الورثيلاني واصفاً تلك الأوضاع"فإن أقمنا الخميس إلى تاجورا ونحن تخلفنا مع بعض أفاضل أصحابها فلم نفصل عنهم حتى خفف الركب أثقالهم بوضعه في السفينة معتمدين علينا ؛ إذ عادة السفن في تلك المدينة تتأخر إلى آخر رمضان فربما عافهم ذلك عن الحج فلما علمنا ذلك حصصنا الأمر من سيدي علي باشا بأنفصالها من غير تراخ بعد ذهابنا وأخذنا العهد منه على ذلك ، وأحسن إلينا هو وأصحابه بأن هذا انقطاع الفقراء والصعاليك بغير عوض وإنما لوجه الله" [xlix].

ما هذه الشهادة التي أوردها الورثيلاني إلا دليل على انهيار الأوضاع في المدينة وخاصة الأمنية والاقتصادية منها كما يؤكد فشل السلطة في تحقيق الاستقرار والأمن فيها.

أكد الورثيلاني أن الانتفاضات والثورات والتمردات التي عاشتها مدينة طرابلس ضد الوجود العثماني المسيطر على مقاليد الأمور فيها قد جعلها تفقد الكثير من مظاهرها الحضارية فقال:" هذه المدينة وان ضعفت حسناً لم يوجد فيها إلا حمامان وكذا الرباط فيها ومثلها الأسواق "[l].

على الرغم من هذا الوضع الذي عاشته طرابلس من جراء تلك الأوضاع ، فإنها مازالت تحتل مرتبة حسنة عن بقية المدن الليبية بدليل قول الورثيلاني " غير أنها لم تنقص معنى فإن خيرها كثير ونورها جيد " [li].

وكانت طرابلس وما تزال مدينة العلم ورجاله رغم ما كانت تمر به من اضطرابات في عهد علي باشا القرمانلي يقول الورثيلاني : " أن مدينة طرابلس حفظها الله بالصالحين ومحبة أهل الخير حتى أنهم لا يصبرون عليهم فإذا شموا راحة المعرفة في أحد حتى سعوا إليه بالإحسان جزاهم الله وذلك علم من عمالة طرابلس لاسيما الزاوية الغربية " [lii].

أصابت التمردات وحركات الهرج والفتنة ضواحي مدينة طرابلس يعد دليلاً على ضعف السيطرة القرمانلية عليها وأشار الورثيلاني إلى ذلك الوضع فقال : " مررنا بالزاوية القريبة وهي بلدة عظيمة قد جمعت ووعت أجناس الخلق ، وأصناف من العرب وأولاد الترك وقبائل شتى فلما فسد رأيهم وتقوى فيهم الإهمال وضعف فيهم حكم السلطان اضطربت فيهم الفتنة وعظم فيهم الهرج وصاروا إلى القتال انقسمت عليهم الأعراب أو أن السلطان رأى فيهم ذلك لأن فيهم العمال والقادة وأرباب الدولة "[liii].

وفي شهادة أخرى أبرز الورثيلاني النتائج التي ترتبت على ذلك التطاحن في مختلف مناطق طرابلس وضواحيها قال : " وأما الزاوية الغربية تسمى الصغرى وتعرف أيضاً بوطن بلد الزيطين وهي قرية ذات نخل كثير الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة وقد استولى عليها الخراب على هذه القرية فليس العامر فيها إلا بعض عامر"[liv].

وقال " قصر سي وزدر قد أمتحى رسمه وبقي اسمه وتخرب أكثر البناء الذي يحف به ولم يبق من أهله إلا أناس قليلون "[lv].

وأشار الورثيلاني إلى أن فقدان الأمن جعل الغالبية من أهل طرابلس وضواحيها يخافون من العيش بها حتى المسافرون والحجاج يتوجون عند المرور بها ؛ وذلك للخطر المحدق بهم يقول الورثيلاني" وهذا الموضع المشهور أهله يبيع من يجتاز من الحجاج وغيرهم للنصارى ولم تترك الأركاب تحترس ؛ إذ مرت به خوفاً من أهله وخوفاً على سرقة الرجال أكثر من خوفهم على سرقة الأموال فإذا جاوزوا و لم يفقدوا أحداً هنأ بعضهم بعضاً ، وكان هذا الفعل كثيراً فيهم شائعاً رائجاً فيما تقدم ، وأما الآن فقد قل ذلك لقلة العامرية به "[lvi].

وفي أقصى الحدود الغربية للإيالة مع تونس كانت السيطرة القرمانلية ضعيفة ؛ حيث ساد صراع قبلي بين قبائل النوائل وورغمة[lvii] أدى إلى ازدياد القتل في كلا الطرفين ، وفرار عدد منهم هرباً من هذا الصراع الأمر الذي أدى إلى فراغ المنطقة سكانياً وقد أشار الورثيلاني إلى ذلك الصراع فقال " فسرنا إلى بلاد النوائل وهي طائفة صعبة كادت أن تكون كالقبر فلا يمر عليها أحد إلا متروّع إذا سلم منهم ونحن قد وجدنا بعضهم طاغين فلما رأونا فرحوا بنا وصاروا يلعبون على خيولهم طلباً للدعاء واغتنام البركة ؛ إذ سمعوا نبأ في غير هذه الحمية وعلموا بعض أحوالنا باختيار مرابطها وأعلاماً صلحائها بين أولاد مريم فأنهم أصلح الناس وأصبرهم وأكرمهم وأعلمهم وأهداهم ، وأما من هذه الحجة فوجدناهم بعيداً عن بيوتهم متحيرين أشغلهم أمر الظلم وتعدى عليهم بعض من أولع بالتغلب والتغيير من هؤلاء المتمردين المذكورين وسبب ذلك إنشاء العداوة والفتنة بين النوائل و ورغمة فإن ورغمة منتهى عمل تونس الشرقية والنوائل منتهى عمل طرابلس الغربية فلما التقى الجمعان نشأت بينهم الحروب والفتن والأخذ والموت فانجلى النوائل من بلادهم اجلوهم الزاوية وغير ذلك ممن يخالفهم فكان المرابطون أعني أولاد مريم والحمارنة مع ورغمة موقع لهم بعض النقدس بسبب مجاورتهم ومحبتهم إياهم "[lviii].

وشهد إقليم سرت هو الآخر الأوضاع السيئة نفسها ؛ حيث زادت الصراعات القبلية ففي عام 1767 م نشب الصراع بين قبائل أولاد سليمان وقبائل الفرجان والمحاميد مما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار ، في الوقت الذي كانت تعاني فيه الإيالة المصاعب الكبيرة أمام هذا الوضع ، و أنتهى هذا الصراع بصلح بين أولاد سليمان والمحاميد ، مما أدى إلى سيطرة الدولة العثمانية من جديد على سرت غير أن هذه السيطرة لم تستمر حيث أعلنت قبائل أولاد سليمان بزعامة سيف النصر بثورة جديدة ، وتمكنت من فرض سيطرتها على كافة سرت ، وعلى طرق التجارة الرابطة بين فزان وطرابلس كما تمكنت من الزحف على مصراتة وقتل عاملها العثماني والاستيلاء على الأسلحة والأموال وتكبيد الحامية العثمانية عدداً أكبر من العسكر [lix].

أشار الورثيلاني إلى هذا الصراع على الإقليم فقال " وبلاد سرت هذه من أخصب البلاد ، وأكثر أرزاقها ذات مزارع كثيرة بالبصل وعربها أهل رفاهية إلا أن الجور أجلاهم من بلادهم، وشتت شملهم، ولا يكاد أمرهم ينتظر [lx].

وأشار الورثيلاني إلى جهاد القرمانليين البحري ضد الأطماع الأوربية وكانت الدولة الأوربية قد فرضت اتفاقيات ومعاهدات على إيالة طرابلس نتيجة الوضع الذي كانت تعيشه البحرية الطرابلسية عام 1765م حيث كانت ترسانتها تعاني من انعدام العتاد اللازم لها إلى جانب نقص عدد السفن والزوارق البحرية مما جعل أسطول الإيالة هزيلاً غير قادر على مواجهة الأساطيل الأوربية في عرض البحر ؛ الأمر الذي مكن تلك الدول أن تفرض على الولاية توقيع معاهدات وفق مصالحها[lxi].

وزاد النشاط البحري ضد فرنسا في عهد علي باشا القرمانلي الذي كان عهده مليئاً بالنشاط البحري ؛ إلا أن الأسطول الطرابلسي كان قد فقد قدرته على مواجهة الأساطيل الأوربية التي قامت بحصار وتهديد طرابلس ؛ حيث حاصرت فرنسا 1766م أسطول المدينة وأجبرت الوالي علي باشا القرمانلي على قبول مطالبها التي نصت الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت وفق مصالح فرنسا بفعل القوة العسكرية وهذا الوضع دفع عدداً من الدول الأوربية الأخرى أن تحذو حذو فرنسا[lxii].

وصادف مرور الورثيلاني إيالة طرابلس زمن هذه الأحداث حيث سجل في شهادته هذا النشاط فضلاً عن عدد من الجوانب الأخرى ؛ فقال" ولأمير هذه المدينة نكاية للعدو دمرهم الله وله مراكب قل نظيرها معدة للجهاد في البحر قلما تسافر وترجع بلا غنيمة وقلما أسرت لهم سفينة إلا أن يكون من سفن التجار لا سفن الجهاد "[lxiii].

ويبدو أن هذا الوصف الذي أشار إليه الورثيلاني كان إبرازاً للنشاط الجهادي في الفترة التي كان يحكم فيها الوالي علي باشا القرمانلي التي صادفت مرور الورثيلاني بدليل قوله " ويصادف ذلك في كثير من الأحيان خروج عسكر البحر للجهاد "[lxiv].

وأشار الورثيلاني إلى حصار فرنسا لطرابلس بأسطولها سنة 1766م [lxv] شاهده عند مروره بالمدينة قاصداً الحج قال :" فأتى النصارى إلى بلد طرابلس يأخذونه ويهدمونه والناس لا طاقة لهم بذلك فأهتم الناس بالخروج إلى المنشية خوفاً من ضربة المدفع والبونية"[lxvi].

وأشاد الورثيلاني بالقدرة القتالية التي عليها أسطول الإيالة زمن حكم علي باشا القرمانلي فقال " هذه المدينة نكاية للعدو دمرهم الله، وله مراكب قل نظيرها معدة للجهاد "[lxvii].

هذه الأعمال الجهادية التي يقوم بها أسطول الإيالة ضد السفن التجارية الأوربية غالباً ما تسبب رد فعل من جانب تلك الدول على شكل حصار بحري من قبل أساطيلها مثل ؛ ما حدث عام 1766م ، ويبدو أن هذه القوة التي استخدمها الأسطول الفرنسي قد جاءت رداً على الأعمال القرصنية التي قام بها الأسطول الطرابلسي ضد السفن التجارية الأوربية في عرض البحر المتوسط [lxviii].

الأحوال الاقتصادية في طرابلس في الرحلة الورثيلانية:

يوصف الإطار الاقتصادي السائد في طرابلس بالطابع الزراعي والرعوي والتجاري؛ رغم ما تعرض له هذا النشاط للكثير من المشاكل المناخية في العهد العثماني؛ فضلاً عن الأساليب التي اتبعها النظام العثماني تجاه السكان متمثلة في عمليات السلب والنهب إلى جانب فرض عدد من أنواع الضرائب عليهم كان الهدف منها جمع الأموال لتغطية نفقات الحملات العسكرية الموجهة للقضاء على الثورات في مختلف الأقاليم [lxix].

وانعكس ذلك الوضع سلباً على أوضاع البلاد الاقتصادية؛ حيث أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي في مختلف مناطق الإيالة إلى سوء الأوضاع المعيشية للسكان وانتشار المجاعة فيهم مثلما حدث في سنة 1767محين مر الورثيلاني بها[lxx].

برز النشاط الزراعي في عهد الأسرة القرمانلية في طرابلس وضواحيها ونشأت مجتمعات زراعية مستقرة في الدواخل على امتداد الساحل منها في يفرن ونالوت وتاجوراء وجنزور والزاوية وزوارة [lxxi] فضلاً عن المنطقة الممتدة ما بين بني وليد ووادي سوف الجين المحاذية للمرتفعات الغربية والمحيطة بمدينة طرابلس تتوفر فيها الظروف المناخية التي تسمح بقيام نشاط زراعي وخاصة سهل الجفارة وطرابلس وضواحيها ومن بينها المنشية [lxxii].

أدت ضواحي طرابلس دوراً كبيراً في النشاط الاقتصادي لولاية طرابلس الغرب في تلك الفترة حيث قامت بتوفير عدد من المحاصيل الزراعية المهمة لحياة السكان وخاصة القمح والشعير ومن بين تلك الضواحي مسلاته وتاجوراء والزاوية وجنزور فضلاً عن عدد من المناطق الأخرى؛ وإن كانت تبعد عن طرابلس إلا أنها أسهمت في الإنتاج الزراعي بمختلف المناطق وقد شهد بذلك عددٌ من الرحالة[lxxiii].

وتعد طرابلس من المناطق الزراعية المهمة؛ لتوفر مياه الأمطار والاودية والعيون والمياه الجوفية، مما جعلها تؤدي دوراً بارزاً في اقتصاد الإيالة، أشار كثير من الرحالة إلى هذا كله؛ فقد كانت هناك مناطق إنتاجية منها المنشية التي كانت منذ القدم من أهم المراكز الإنتاجية للمحاصيل الزراعية [lxxiv].

فضلاً عن أماكن أخرى بغرب مدينة طرابلس وشرقها تعد من مراكز العمران قال " نزلنا الزوارات وهي قرية كبيرة بها ماء عذب والزاوية هي بلدة ذات فواكه وأشجار ومزارع وعمارة كبيرة لا تحيط بها العمارة وتقصر عليه الإشارة"[lxxv].

كما تميزت المرتفعات بإنتاج زراعي وفير فضلاً عن المناطق السابقة ، جبل ترهونة يقول الورثيلاني"قطعنا الجبل وهو منتهى الجبل في تلك البلاد وهو أخر الجبل لا نظير له في الدنيا طولاً وعرضاً وخصباً وماء وفير متصلة وعمران متراكم وقبائل وافرة ، مغرب هذا الجبل في كل البلاد وبلاد مخصبة ذات أنهار وعيون وأشجار"[lxxvi]، أما شرق طرابلس فهي الأخرى تنعم بنشاط زراعي في عدد من الأماكن بدورها تسهم في توفير احتياجات السكان، وذلك من مختلف أنواع المحاصيل وأكد الورثيلاني استمرار النشاط الزراعي بتلك الأماكن المشار إليها بشرق طرابلس فقال "وساحلها به بلدة طيبة ذات زيتون ونخل وعمار، وهي لا نظير لها لكثرة مائها واتساع أرضها واستوائها وجودة ترابها بساتينها فهي روضة من الرياض مجدولة جداويل"[lxxvii].

وسجل الورثيلاني الإنتاج الرعوي في إقليم سرت رغم الظروف التي تعيشها المنطقة وذلك عام 1766م عندما مر بها قاصداً الحج فقال " وبلاد سرت من أخصب البلاد وأرزاقها ذات مزارع كثيرة بالبصل أي لا سقي وإنما تسقى بالمطر"[lxxviii].

وبما أن الزراعة هي عصب الاقتصاد في طرابلس الغرب ويقوم بها السكان حيثما تتوفر عوامل قيامها من ظروف مناخية ملائمة، ومصادر مياه وتربة خصبة صالحة للزراعة، حيث كانت أهم المحاصيل الزراعية الزيتون الذي عرفته طرابلس منذ أقدم العصور؛ فكانت مساحات شاسعة من الأراضي تغطيها ملايين من أشجار الزيتون[lxxix].

يعد محصول الزيتون من أهم المحاصيل الزراعية في طرابلس وضواحيها سواء في شرق طرابلس أو غربها وتعرض

الورثيلاني إلى وصف أشجار زيتون مسلاته وطريقة ريه فقال (وزيتونة كثير الشجر عظيم الخلقة وعند كل شجرة عظيمة يجمع فيها الماء[lxxx]).

كما تعد بلدة ساحل حامد من مراكز زراعة الزيتون في تلك الفترة في طرابلس يقول الورثيلاني"ساحل حامد بلدة طيبة ذات زيتون "[lxxxi]. وتوفرت زراعته في بني وليد وقرقارش في طرابلس وغريان وغيرها من الأماكن [lxxxii].

وتعد زراعة أشجار النخيل من الزراعة المهمة في طرابلس خاصة في الواحات حيث تتلاءم زراعته مع مناخ هون وودان وسوكنه وغات وغدامس حيث تنتج كميات كبيرة من التمور، مما ساعد على توفير الغذاء لتلك المناطق[lxxxiii] وأورد الورثيلاني شهادته التي أكد فيها زراعة النخيل بالزاوية فقال "ومررنا على الزواية الغربية وهي كثيرة النخل"[lxxxiv] كما زرع في شرق طرابلس خاصة في المنشية وتاجوراء وساحل حامد وزليطن وتاورغا، والهيشة يقول الورثيلاني"تاجوراء فيها أشجار وفاكهة ونخل"[lxxxv].

وزرعت الأشجار المثمرة والفواكه مثل العنب والتين والرمان واللوز والمشمش والسفرجل والتفاح والكمثرى والبرقوق والبرتقال والليمون وهي تنتشر في المناطق التي تتوفر فيها المياه حيث إن زراعتها تقوم على الري الدائم[lxxxvi].

اشتهرت طرابلس بالزراعة المثمرة والفواكه وقد أشار الورثيلاني إلى ذلك بقوله "ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات وبها بساتين جليلة في شرقها"[lxxxvii].

ويقول الزاوية "مررنا بالزاوية الغربية وهي بلدة ذات فواكه وأشجار ومزارع وعمار"[lxxxviii].

وكانت تلك الزراعة تقوم على نظام السواني والخبائن تعتمد على الري الدائم وقد أورد الورثيلاني وغيره معلومات عن هذا النوع من الزراعة ومراكز زراعتها في إيالة طرابلس الغرب مؤكدين على وجود هذه الزراعة ونظام زراعتها بمختلف مناطق البلاد وخاصة الساحلية غرب طرابلس[lxxxix].

يعد القمح والشعير من المحاصيل المهمة التي تزرع على نطاق واسع في كل طرابلس الغرب وقد أشار الرحالة إلى ذلك ، يقول الورثيلاني"وتلاقينا بفضلاء أولاد مريد، وقد أتوا إلينا بشعير ومع أنه مفقود في ذلك الوقت "[xc].

كما سجل في شهادة أخرى أن غلاء سعر الشعير في طرابلس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان بسبب ندرته ، فقال "إن الطعام كاد أن يشترى من كثرة غلائه فترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن القحط غمهم وغشيهم ما غشيهم من الجوع "[xci]وبصفة عامة يقدم الورثيلاني صورة للحالة المعيشية التي يعشيها السكان في مختلف مناطق فقال " مع أن البلد في كثير من أحواله معروف بغلاء الأسعار"[xcii].

أشار الورثيلاني إلى زراعة النباتات الدوائية ونبات الزينة في إيالة طرابلس الغرب فقال "وبتاجوراء السفرجل الذي لا يوجد في بقاع الأرض مثله"[xciii] وشكلت حرفة الرعي وتربية الحيوانات 20% من داخل سكان طرابلس، ومناطق الرعي بها تتقاطفها فيها الظروف المناخية ؛ ففي طرابلس تركز الرعي في المناطق السهوبية الخضراء وفوق سفوح الوديان ، وعلى طول الشريط الساحلي والمنحدرات الجبلية الجنوبية حتى الصحراء ؛ لتمتع هذه المنطقة بغطاء نباتي من الحشائش إلا أن درجة غطائها تتفاوت من مكان إلى مكان بحسب كمية الأمطار[xciv].

تعد الأغنام من أهم الحيوانات التي تربى في إيالة طرابلس الغرب وهي مصدر مهم للحوم إلى جانب إنتاجها للصوف والألبان ؛ لتوفر المقومات الأساسية للنشاط الرعوي لما فيها من مراع وموارد مائية ، وأهم مناطق الرعي في طرابلس سهل الجفارة ؛ ومنطقة المنشية ؛ وسهل سرت ؛ ومنحدرات جبل طرابلس ؛ حيث تربى قطعان كبيرة من الأغنام والماعز، ويورد الورثيلاني شهادته بخصوص وادي الرمال ؛ فيقول "ومررنا بوادٍ يقال له وادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه صيفاً وشتاء ، وهو واد مخصب في أعلاه فيه مزارع تخرج إليه ماشية أهل طرابلس وسرّحها أيام الربيع وربما أخرج إليه الحجاج إبلهم مع رعاتها إن طالت إقامتهم بطرابلس[xcv] وهذا ما يؤكد توفر ازدهار الثروة الحيوانية في إقليم طرابلس عند مرور الورثيلاني بها.

أسهمت منطقة شرق طرابلس في هذا الإنتاج أيضاً لأنها من المناطق الرعوية المهمة وذلك لغناها بغطاء نباتي من الحشائش ومن نبتها الحلفاء وأشجار الشيح والبطوم عدد من الأشجار الأخرى التي تكون مراعي للماشية بالإقليم[xcvi] وبذلك تعد منطقة ذات أهمية بدليل قول الورثيلاني"مررنا بوادي المسيد وهو كالذي قبله أو أخصب منه وبه شجر العرنج والرفث والتمام وشجر العشر ، والتي تنبت في بطون الأودية "[xcvii].

تتركز تربية الإبل في إقليم طرابلس وخاصة في المناطق الحدودية مع تونس والجزائر وقد أشار الورثيلاني إلى تربية الإبل في منطقة طرابلس ؛ حيث وصفها من عدة جوانب فقال" إبل هذه البلد أجود من غيرها لأنها ألفت العمل والخدمة الكثيرة ، وأنهم يستعملونها في كبير الأعمال حتى الحراثة والدراسة والرحى فتمرنت بذلك على المشاق العظيمة"[xcviii].

وصف الورثيلاني مشاهداته للأبقار التي تأتي في الدرجة الثالثة من الحيوانات مشيراً بأنها تربى في الإيالة وتتركز تربيتها في السهول الشمالية[xcix].

تعد حرفة تربية النحل من الحرف التي يقوم بها الفلاحون إلى جانب نشاطهم الزراعي والرعوي ؛ حيث انحصرت تربيته في مناطق الغابات المليئة بالأشجار ذات الأزهار التي تعد الغذاء الرئيس للنحل الذي يتغذى على رحيقها[c].

والنشاط الصناعي أحد الأنشطة الاقتصادية التي يقوم بها السكان في إيالة طرابلس الغرب ، إلا أن النشاط التجاري والزراعي كان أهم منه ، ورغم ذلك لم يخل النشاط الصناعي لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمراكز الحضارية ذات الكثافة السكانية العالية ، نتيجة لتوفر الأيدي العاملة اللازمة للصناعة ووجود سوق استهلاك لمنتجاته على اختلاف أنواعه[ci].

ولكن هذا النشاط لم يجد تطور ولا اهتمام لا من جانب العثمانيين ولا من جانب القرمانليين فنجدهم يحافظون على وصفه القائم منذ سنوات طوال[cii].

ومن أهم الصناعات التي وجدت في طرابلس في العهد القرمانلي صناعة الزوارق والسفن حيث زاد هذا النشاط وخاصة الحربية مما أدى إلى بروز عمليات القرصنة البحرية ضد السفن الأوربية التجارية[ciii]و انتشرت صناعة الأثاث والزجاج والفخار والجواهر والأحجار الثمينة والنسيج و الملابس والجلود ، وعصر الزيوت وغيرها من الصناعات التي توفرت لها المواد الخام ، وهذا يدل على الاهتمام الكبير الذي يوليه السكان لتلك الصناعات منذ القدم [civ].

كانت الصناعات الجلدية مثل الأحذية والحقائب والسروج وأغلفة السيوف والبنادق والأحزمة وقرّب الماء رائجة ، وهذا ما أشار إليه الورثيلاني بقوله "ومن هذه المدينة أي طرابلس ، يشتري الحجاج ما يحتاجون من الإبل والقرب"[cv].

وبعد وصول القرمانليين إلى السلطة واصلت هذه الصناعة نشاطها وبشكل كبير ، فأصبحت ذات صناعات مختلفة من أحذية وصنادل ومشط وسروج الخيل وغيرها من المصنوعات [cvi].

انتشرت صناعة النسيج التي مثلت المرتبة الأولى من النشاط الصناعي لكونها المصدر الرئيس لتغطية احتياجات السكان من الملبس والغطاء والفرش وانتشرت مصانع النسيج في طرابلس التي صنعت فيها الملابس على اختلاف أنواعها من حريرية ، وصوفية وأقمشة مختلفة إلى جانب الملابس الخاصة بالتجارة[cvii].

أما صناعة السجاد ؛ فتعد ذات أهمية كبيرة في إيالة طرابلس الغرب ؛ حيث تسهم في توفير احتياجات السكان و تقوم إلى جانب ذلك صناعة النسيج في الأرياف والمراكز العمرانية وخاصة مصراته التي تعد من أهم مراكز تصريف هذا الإنتاج منذ القدم ، وهي الأخرى تعتمد على مواد خام محلية كانت متوفرة وبشكل كبير[cviii].

فضلاً عن صناعة عصر الزيتون تعد المصدر الرئيس لإنتاج الزيت وجدت معاصرها في مسلاته يؤكد ذلك الورثيلاني" زيتون مسلاته كثير ولا تكاد تفرق بينه وبين السمن وخاصة الذي يضربونه بالماء وقد أنشئت عدة معاصر في هذا البلد ووقفنا على إحداها عند السيد محمد الشريف"[cix].

قامت في طرابلس الغرب بعض صناعة المعادن والمواد غير المعدنية كالأدوات المنزلية من أوان وقدور ومعدات الزراعة والبناء ؛ فضلاً عن استخراج بعض المعادن ومعالجتها ومن بينها الكبريت والقطران والشب والملح[cx] وانتشرت صناعة الملح على نطاق واسع كانت تصدر إلى بعض الدول الأوربية وخاصة البندقية وفق معاهدات واتفاقيات بين الطرفين ، وقد أبرمت اتفاقية بهذا الشأن تحدد استغلال ملاحة زوارة وتحديد أسعاره[cxi].

أشار الورثيلاني إلى ذلك فقال " وصلنا إلى قصر الملح وهي سبخة قريبة منه تحمل منه السفن وملحها متصل على سائر السبخات"[cxii].

ونظراً لأن هذه الصناعة تحتاج إلى خبرات ورأس مال لم يلبث حكام طرابلس أن عقدوا سلسلة من الاتفاقيات مع عدد من

شركات الدول الأوربية وخاصة البندقية وميلانو ؛ لاستخراج هذا المعدن وتصنيعه[cxiii].

وأكد الورثيلاني ذلك قائلاً" ومنها يمتاز أهل البلد والنصرانية وكأنه طرف من السبخة الذي يتبلور[cxiv]ويواصل الورثيلاني حديثه عن طريقة استخراج هذا المعدن من قبل العمال الطرابلسين فقال" وأهل ذلك الموضع يزعمون أنهم إذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا إلى تراب الأرض أحفتروا فيه فلا يوجد طبقة أخرى ، وكذلك إلى سبع طباق وهم يحفرون إلى السابعة لأن النصارى يتهافتون في شرائه منهم ويذكرون أن له عندهم منافع عدة "[cxv].

ويبدو أن هذا العرض من جانب الورثيلاني لعملية استخراج الملح لم يكن شاهد عيان ولكن حسب ما سمع حيث أن الرحلة كانت بقصد الحج وليس بوسعه متابعة عمليات استخراج الملح ؛ في تلك الفترة كانت شركات أجنبية تدير عملية استخراج هذا المعدن واستثماره[cxvi].

ويوجد الكبريت هو المعدن الثاني في طرابلس سرت و بكميات كبيرة وعلى نطاق تجاري حيث كان يصدر إلى مصر وبعض الدول الأخرى، يقول الورثيلاني "رأينا سبخة مقطع الكبريت في أبار وعيون يحمل منها كالطين ، ويحمل إلى طرابلس وإلى مصر والإسكندرية"[cxvii]وذلك لعدم وجود الإمكانيات والخبرات اللازمة لصناعة هذا المعدن الذي يتوفر بكميات كبيرة [cxviii].

برزت التجارة نشاطاً اقتصادياً مهماً وكانت مصدراً لمعيشة العديد من السكان وقد كان للأسواق على اختلاف أنواعها دور في نجاح هذا النشاط ، و هي مراكز لتوزيع تبادل مختلف أنواع الإنتاج بين مدن وأرياف مختلف أنحاء طرابلس فقد كان لموقع طرابلس الجغرافي المهم على البحر المتوسط دور كبير في جعلها حلقة وصل بين دول وسط إفريقيا والدول الأوربية ومصدراً من الشرق العربي إلى المغرب العربي مما مكنها من أن تقوم بدور الوسيط منذ القدم في عمليات التبادل التجاري بين تلك الدول[cxix].

فضلاً عن ذلك فإن مدن وقرى طرابلس التي تقع على الساحل قامت بدور كبير في هذه التجارة ؛ حيث كانت نقاط عبور للمبادلات التجارية من وإلى تلك الدول وخاصة مصر[cxx]فضلاً عن كونها حلقة وصل عبر طرق القوافل التي كانت تربطها مع دول ما وراء الصحراء ؛ إذ أن طرابلس كانت ترتبط بوادي وبيرمو والسودان عن طريق فزان وغدامس بعدة طرق تجارية وهذا النشاط التجاري الكبير الذي قامت به تلك المدن قد أدى إلى تحقيق أموال طائلة للخزانة في طرابلس[cxxi].

وعلى الرّغم من الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به طرابلس وقراها إلا أن الأوضاع الاقتصادية تدهورت بشكل كبير بسبب الفوضى والإضرابات والنزاع بين القبائل الأمر الذي دفع عدداً من السكان إلى الهجرة وترك أراضيهم الزراعية بحثاً عن الأمن والطمأنينة ، وهذا بدوره أفقد النشاط الزراعي قدرته الإنتاجية وخاصة في المواد الغذائية التي تعتمد عليها حياة السكان الأمر الذي دفع حكام طرابلس إلى الاعتماد على استيراد تلك المواد من الدول الأوربية ومصر والمغرب ودول وسط إفريقيا التي لها علاقات تجارية مع إيالة طرابلس[cxxii] كما تأثر النشاط التجاري بعمليات القرصنة التي يقوم بها الأسطول الليبي في البحر المتوسط على السفن التجارية الأوربية الأمر الذي أدى إلى تقلص المبادلات التجارية مع الإيالة إلى قيام الدول الأوربية بالوقوف ضد هذا النشاط بكل حزم مما أثر في النشاط التجاري بشكل عام وأفقده مكانته الأولى [cxxiii].

انتشرت الأسواق بشكل واسع في طرابلس الغرب إبان الحكم العثماني والقرمانلي في كل أنحاء البلاد ، وهي أنواع، منها أسواق عامة دائمة وأخرى أسبوعية وموسمية ، وهذه الأسواق تمارس نشاطها الحرفي وفق السلع التي تباع فيها سواء في المدن أو القرى[cxxiv].

ومن أشهر أسواق طرابلس النصف الثاني من القرن الثامن عشر زمن رحلة الورثيلاني :

سوق الترك : وهو من أقدم أسواق طرابلس وهو عبارة عن شارع عظيم الاتساع يضم عدد من الدكاكين ذات الواجهات الزجاجية ويباع فيها مختلف أنواع السلع الأوربية ، وكان يقصدونه الأتراك وهم الذين بنوه فحمل اسمهم[cxxv].

سوق الرباع : هو من أشهر أسواق طرابلس ومن الأسواق الواسعة التي يباع فيها مختلف أنواع المنسوجات ، ويتمتع هذان السوقان بأهمية كبيرة ؛ حيث ترد عليهما مختلف السلع من المناطق، كما يعدان من أهم مراكز توزيع إنتاج النشاطات الزراعي والحيواني والصناعي ويزود التجار والمسافرين والحجاج بما يحتاجون من الإبل والقرب والمؤن [cxxvi].

وأشار الورثيلاني إلى هذين السوقين ونشاطهما التجاري ؛ حيث قال : "هذه المدينة وإن نقصت حسان لأنها لم يوجد فيها إلا

حمامان وكذا الرباط فيها ومثلها الأسواق غير أنها لم تنقص معنى فإن خيرها كثير ، ونورها جديد"[cxxvii].

توجد أسواق خاصة تختص ببيع سلع معنية اشتهرت بها مثل سوق اللفة ويقع هذا السوق بالقرب من مسجد الناقة ، وهو فرع من سوق الترك مهتم ببيع الأردية بمختلف أنواعها ، كما يوجد سوق الجريد وسوق الشيشمة الذي أنشأه علي باشا القرمانلي ، و استطاعت هذه الأسواق أن تؤدي دوراً كبيراً في توفير احتياجات السكان من مختلف السلع والبضائع سواء المحلية منها أم المستوردة[cxxviii].

فضلاً عن ذلك توجد أسواق في ضواحي طرابلس من أهمها الزاوية وجنزور والمنشية وتاجوراء والعمروس ومسلاته ، وقد أشار الورثيلاني إلى كل هذه الأسواق وأوضح أهميتها الاقتصادية ومواعيد انعقادها على مدار السنة [cxxix] يقول الورثيلاني عن أسواق مصراته"وبقينا يوماً آخر في مصراته وفيها سوق عظيم وهو آخر ما تراه من البنيان إلى مصر"[cxxx] وربما كتب ذلك قبل أن يصل إلى برقة العامرة أيضاً بعدد كبير من الأسواق.

فضلاً عن ذلك سوق الغنم أو المواشي وهو من الأسواق القديمة في طرابلس حيث يتم بيع مختلف أنواع المواشي منذ القدم قال عنه الورثيلاني"داخل المدينة بطمه يعرفونها بموقف الغنم يبيعون فيها أغنامهم ومواشيهم"[cxxxi].

يعد ميناء طرابلس من أهم الموانئ وجعلها من أهم المدن التجارية في منطقة الشمال الإفريقي إذ هي ملتقى لتجمع القوافل التجارية المحملة بمختلف السلع من وسط وغرب إفريقيا والسلع القادمة من أوربا والشرق العربي عن طريق البحر؛ حيث تتجمع في مرساها مما جعلها مركزاً تجارياً مهماً في منطقة الشمال الإفريقي منذ العهد الروماني ؛ تواصل هذا الازدهار الاقتصادي في طرابلس عبر القرون[cxxxii].

أكد الورثيلاني أهمية هذا الميناء الذي تواصلت عبره عمليات النشاط التجاري البحري الملازم للنشاط الجهادي الذي كان يدار بشكل واسع في العهد القرمانلي ويكرر الورثيلاني وصف العياشي لهذا الميناء بقوله "في هذه المدينة مراكب قل نظيرها ومعدات للجهاد في البر قل ما أسرت لهم سفينة إلا أن تكون من سفن التجارة"[cxxxiii].

والواقع أن هذا النشاط التجاري قد تأثر في الفترة القرمانلية نتيجة للأوضاع السياسية المضطربة بسبب النزاع بين أبناء الأسرة القرمانلية على السلطة، وعلى الرغم من ذلك ازدهر النشاط التجاري في طرابلس التي حافظت على صلاتها التجارية مع عدد من الدول الأوربية وخاصة المدن الإيطالية[cxxxiv].

الإدارة ونظم الحكم في أيالة طرابلس الغرب في الرحلة الورثيلانية .

وردت في رحلة الورثيلاني بعض الإشارات المتعلقة بأسلوب الحكم ونوعية الإدارة في أيالة طرابلس الغرب في العهد القرمانلي ، إلى جانب وصفه لطبيعة العلاقات بين الحكام والأهالي ، فضلاً عن تعرضه لبعض الأحداث الحربية التي عرفتها إيالة طرابلس الغرب ، وتأثرت بها أوضاع البلاد بشكل عام مثل حصار الفرنسيين لطرابلس الغرب عام 1685م ، الذي رواه الشيخ سيدي محمد بن مساهل وقال فيه "أن الأسطول المهاجم والمتألف من اثنين وعشرين سفينة حاصر طرابلس أربعة أيام وضربها بالمدافع مما اضطر كثيراً من السكان إلى مغادرتها والاستعداد للدفاع عنها برغم تخاذل الحاكم وميله لمهادنة النصارى ثم أجلي الكفرة عن المدينة يوم الخميس بعد تمام المهادنة وإقصاء شروطها وفرح المسلمون بانتقالهم عنهم وإقلاعهم عن البحر غاية الفرح أخزى الله الكفرة وأذلهم ، وأعز أهل الإسلام وأحاطهم"[cxxxv].

وصف الورثيلاني أيضاً أسلوب الحكم وطبيعة السلطة وتعرض إلى ما كان تتمتع به الأقلية الحاكمة من أجناد ومماليك وكراغلة وأتراك من نفوذ وقوة حال دون تعرف حاكم الأيالة القرمانلي على أوضاع البلاد وحالة الرعية ، وبقي بعيداً عن أعين العامة يحيط به الحجاب ويتقرب إليه أصحاب الثروة والنفوذ[cxxxvi]، وهذا ما دفع الورثيلاني إلى القول بأن علي باشا القرمانلي حاكم طرابلس الغرب " كان لا يحب مفارقتي ..... وإنما منعني من الاجتماع معه كثرة الحجاب وأهل الحظوة من الدولة وأعني المماليك والقادة والعمال وغيرهم من رؤساء العسكر وأهل الوجوه من أهل البلد ولهذا ... لا تصل إليه شكوى لقوة خفائه وعدم ظهوره مع أنه رحيم بالمؤمنين ....مقبل الشفاعات ، صاحب خير وله حسن اعتقاد في أهل الخير...."[cxxxvii].

ومن الرحلة الورثيلانية نجد أن نفوذ الأُسرة القرمانلية كان يشمل جميع الأراضي الليبية الحالية إذ يذكر في هذا الصدد أن حكم الباشا نافذ في بنغازي[cxxxviii] وبأن لصاحب طرابلس عاملاً

وعسكراً بسلوق ، وبأن سكان الجبل الأخضر تحت أيالة صاحب طرابلس الغرب وفي سر طاعته [cxxxix] كما يشير إلى حدود أيالة طرابلس الغرب مع أيالة تونس وهي المنطقة التي تلتقي فيها قبيلتا النوائل وورغمة ؛ إذ يقول "وورغمة هي منتهى عمل تونس الشرقية والنوائل هي منتهى عمل طرابلس الغربية"[cxl].

ويذكر كذلك بعض العبارات المتعلقة بنوعية العلاقات بين أيالة تونس وطرابلس إذ يقول "عندما خرجنا من الزواوات وحكمها تلاقينا مع أصحاب سكان طرابلس قادمين بالهدية من تونس"[cxli] مما يؤكد الصلات وتبادل الهدايا بين حكام الأيالتين في بعض الفترات[cxlii].

ساءت الاحوال في الفترة الأخيرة من حكم مؤسس الأسرة القرمانلية ؛ فأختل النظام وظهرت بوادر الفوضى والاضطراب بمختلف المناطق ، واستمر تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية حتى تولي الحكم علي باشا القرمانلي الذي أقر النظام ومنع الفتن الممتدة ، لاحظ الورثيلاني في حجته الأخيرة هذا الضعف الذي أصاب الإيالة على الرغم من عودة الهدوء على يد علي باشا القرمانلي[cxliii] وعلّل ذلك بحلول القحط والمجاعة وانتشار الأوبئة فضلاً عن انعدام الأمن وكثرة المظالم من جراء استبداد حكام المدن ، فالورثيلاني يذكر أن"بلاد سرت من أخصب البلاد.... وعربها أهل رفاهية إلا أن الجوّر أجلاهم من بلادهم وشتت شملهم"[cxliv] ومدينة طرابلس الغرب والنواحي القريبة منها "ضاقت على أهلها المعيشة...ونقصت حسناً لأنها لم يوجد فها إلا حمامان وكذا الرباط فيها ومثلها الأسواق"[cxlv] فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي بسبب النزاع بين العشائر البدوية من أجل المياه والمراعي مما أدى بحسب رواية الورثيلاني إلى شن هجمات وغارات متبادلة أدت إلى أضمحلال العمران وفقر الأقاليم الخصبة من سكانها فقد شاهد الورثيلاني صراعاً قبلياً بين عشيرة النوائل وقبيلة ورغمة في طريقه إلى الحج فوصفها بقوله "التقى الجمعان ونشأ بينهم الحرب والفتنة والأخذ والموت فانجلى النوائل من بلادهم ... أجلوهم من جهة المغرب وورغمة ومن نجا سبيلهم من حليفهم من جهة المشرق وهم العجيلات والزواوات وغير ذلك يحالفهم المرابطون أعني أولاد مريم والحمارنة مع ورغمة فوقع لهم بعض التعدي بسبب مجاورتهم ومحبتهم أياهم"[cxlvi].

و الصراعات نفسها وقعت فيها الأطراف المختلفة التي كانت تقطن الزاوية الغربية من حضر وكراغلة وأعراب قال الورثيلاني" امتد رأيهم واضطرمت فيهم الفتنة وعظم فيهم الهرج وصاروا إلى القتال"[cxlvii].

إلا أن الورثيلاني قد شهد لأهل المدن المتصارعة ووصف أخلاقهم إذ يصف النوائل بأنهم طائفة صعبة[cxlviii]وبأن سكان الزاوية الغربية على الرغم من اختلاف أصولهم من عرب وأمازيغ فضلاء وعبّاد وعلماء وهم أهل شجاعة وحدة نفس بحيث كانت طاعتهم للعرب مشوبة للعصيان [cxlix]وبأن سكان مصراته جبلوا على السماحة وحسن الخلق[cl]وبأن زلتين فيهم الخير العظيم دنيا ودين ، كما ذكر سكان جبل نفوسة ووصف أخلاقهم وحدد مواطنهم التي قال عنها بأنها منتهى بزوارة الغربية وتمتد إلى جربة[cli].

<u>الحياة الثقافية في طرابلس كما وصفها الورثيلاني :</u>

زار الورثيلاني طرابلس في عهد الأسرة القرمانلية كما تمت الأشارة إليه خاصة في عهد علي باشا القرمانلي حيث انتشر التصوف بصورة كبيرة في كل الأنحاء التي كانت تقع تحت السيطرة العثمانية ؛ فقد زاد الاعتقاد في الأولياء والصالحين والمرابطية في مجتمع طرابلس الغرب ، وتمتعوا بقوة كبيرة سيطروا بها على المجتمع الطرابلسي ، واستغل القرمانليون ذلك لتوطيد حكمهم في طرابلس الغرب، حيث تميز عهد الأيالة القرمانلية باهتمام ملحوظ ، بالفقهاء والأولياء والصالحين ، وتقريبهم والتودد إليهم ؛ فقد كثر الاعتقاد بالأولياء والصالحين لاستغلال نفوذهم في تدخل هؤلاء في كثير من الأحيان لحماية الناس والدفاع عنهم بجرأة ، وبحكم كونهم مؤثرين عند الحكام وبين عامة الناس ، وفي تهدئة بعض الانتفاضات والثورات وإقرار السلم الاجتماعي[clii]فنما نفوذ المرابطية وأصحاب الطرق الصوفية بين طبقات المجتمع ؛ لا سيما في الأرياف وأطراف المدن ، وكثير ما استخدمهم الولاة القرمانليون لفض النزاعات بين القبائل ، وحل كثير من المشاكل وتحريض العامة للدفاع عنهم ، وكمقابل مادي كبير أما تخوف رجال الدولة من غضبهم إذا ما أزعجوهم بسياساتهم ، لذلك كان كثير منهم وبعض من الضرائب ، وزوايا المرابطية حمى لا تدخل تحت نفوذ الدولة لا لشيء إلا لكونها تحت إدارتهم، وكثيراً ما تمنع الرعية عن الاستكانة والاطمئنان لحاكم أو والٍ حتى يتبينوا موقفه من الزوايا والمرابطية[cliii].

و مثلت الطرق الصوفية والاعتقادات الشعبية عنصراً رئيساً في حياة المجتمع العثماني الذي كانت طرابلس الغرب إحدى إيالته ،

و تولوا المهام التي كانت منوطة بالرباطات التي كانت على هيئة سلسلة متقاربة تمتد من طرابلس إلى الإسكندرية شرقاً و تحولت إلى زوايا تؤدي دور التعليم في المنطقة وأسهمت بدور كبير في استقطاب المزيد من السكان الرحل للاستقرار بها بصورة دائمة مما أهلهم للانتقال إلى المجتمع المستقر[cliv] وللمرابطين ،أوالمرابطية، بصمات على أرض طرابلس الغرب ؛ فقبور الصالحين منهم أصبحت أضرحة أولياء وحولها تكونت تكتلات سكنية أدت إلى استيطانهم بصفة دائمة ، وقامت حولهم المدن والقرى ، كما سميت بعض المدن بأسماء ساكنيها من المرابطين والأولياء الصالحين مثل مدينة بنغازي نسبة إلى سيدي غازي[clv] ومدينة العجيلات على ضريح سيدي أمحمد حركات أبوعجيلة[clvi] وتكونت مدينة زلتين على ضريح سيدي عبد السلام الأسمر [clvii] ومدينة الزاوية الغربية التي سميت نسبة إلى زاوية أولاد سنان ، ولكثرة ما بها من زوايا [clviii] وتذكر اليوميات الليبية كثيراً من الحوادث التي استجار بها العامة بأضرحة المرابطين والأولياء هروباً من السلطة وملاحقتها لهم على جرائم اقترفوها ، خاصة ضريحي سيدي المرغني وسيدي الصيد [clix]، وبلغ من تأثير المرابطين والأولياء والدراويش في المجتمع الليبي إلى درجة الاعتقاد فيهم بأنهم يستطيعون مساعدتهم في قضاء حوائجهم فتراهم يتبركون بقبر الولي ، ويتوددون إليه ، ويصل اعتقاد البسطاء إلى تقبيل الضريح لتحقيق مطالبهم وتيسير أمورهم وكسب الرزق[clx].

وشاع بين العامة تسمية أبنائهم بأسماء المرابطين وفاءً منهم بالنذور التي قطعوها على أنفسهم حينما دعوا عند مرقد المرابطين بالاستجابة لحوائجهم ، سواء كان ذلك بشفاء مرضاهم أو إنجاب الذكور، وحمايتهم من الموت أو إرجاعهم بعد غيبة طويلة ، ومن أسماء الصالحين والمرابطين الشائعة في طرابلس الغرب والتي أصبحت ألقاباً لعدد من العائلات ؛ المرابط ، الشريف ، الدرويش ، المجذوب العيساوي ، المدني ، الدوكالي ، أبو عجيلة ، الفيتوري ، المحجوب ، الزورق الشيخي ، الأسمر ....الخ [clxi].

وبالغ الولاة القرمانليون في تعظيم العلماء المرابطية وإكرامهم وفرضوا لهم العطاء، وتشريفهم وإعفائهم من الضرائب ؛ ففي عهد الوالي علي باشا القرمانلي الذي زار الورثيلاني الإيالة في عهده كما سبقت الاشارة اليه فرآه يلجأ إلى المرابطية من أولاد سيف لحل النزاع بين قبائل أولاد سليمان والفرجان عام 1767م وعجز عن حله باستخدام قوته العسكرية وطلب تدخل سيدي الصيد عند وقوع نزاع عنيف بين رمضان آغا لأدغم حاكم مصراته والشيخ سيف النصر الذي وافق على التدخل وحل النزاع ، ويذكر الورثيلاني أن علي باشا القرمانلي كان يتقرب إلى الأولياء والصالحين ويهتم بالمرابطين وشيوخ الزوايا [clxii] ووصف علي باشا القرمانلي بأنه "السلطان الأفخر والأمير الأعظم" ويذكر أنه بالغ في تعظيمه وإكرامه وخدمته[clxiii] (وكان الورثيلاني صوفياً ؛ بل من علماء التصوف فاكتسب رضا وحب علي باشا القرمانلي).

ولهذا اهتم الورثيلاني في رحلته بالأولياء والصالحين والمتصوفة والمرابطين ، وزيارتهم وشكرهم والدعاء لهم وقد رأى فيهم قدوة حسنة حتى أنه ذكر أن الغرض من تسجيل رحلته"إنما بكى في الأخوان المحبين وبيان أوصافهم ليتحقق السامع ويتصف بأوصافهم"[clxiv] ؛ فيقول "وزرت الولي الصالح والشيخ الواضح الوحيشي وأدخلت ولده إلى داره وقبر الشيخ هناك ؛ فزرته وشاهدت عنده أمراً عظيماً من الشهود والتجلي الذي لا يمكن التعبير عنه"[clxv].

ذكر الورثيلاني أقطاب التصوف في طرابلس الغرب أحياء أو أمواتاً عند رحلته للحج ذهاباً وإياباً مما يدل على ما سبق قوله من أن القرمانليين كغيرهم في ذلك العصر قد اهتموا اهتماماً بالغاً بالأولياء والصالحين والمرابطين .

ومن أشهر مشايخ المرابطين والأولياء الصالحين الذين ذكرهم الورثيلاني في رحلته الشيخ أحمد الزروق[clxvi] بقوله "ثم زرنا قبره وتبركنا به ودعونا له"[clxvii] ؛ ثم زار سيدي الشيخ عبد السلام الأسمرالذي وصفه وحرمه "لا يتعدى عليه أحد ممن وصل إليه سلم ونجا وأفاض الله عليه من نفعته..."[clxviii].

ويصف الورثيلاني العلوم وطلابها في طرابلس بأنها كانت قليلة ؛ فقد ضاقت على أهلها المعيشة وما هي إلا بالكد والجد، ولهذا انعدم التدريس للعلم في طرابلس ؛ وقل الاشتغال بالعلم فلا تجد مجلساً فيه ؛ بسبب قلة الإنفاق ، ومن أراد العلم فليذهب إلى مصر أو إلى جربة أو إلى تونس فعلماؤها كثيرون[clxix] ولكنه يعود ويمدح علماء طرابلس بقوله "فلم أجد وطناً مثلهم في الفهم والإقبال على الله ، وكذا فيهم الأسرار النبوية والأنوار المحمدية"[clxx].

و أشار الورثيلاني إلى بعض مؤلفات هؤلاء المتصوفة ومنها كتاب (بيان البدع والرد على أهلها) للشيخ الصالح سيدي الشيخ ابن عبد الصادق يقول الورثيلاني"رأيت تأليفه ما أحسنها وقد حررها أحسن تحرير وأتم تقرير"[clxxi].

والتقى الورثيلاني بأبناء الشيخ الصيد ومدحه وتبرك به وزاره ، وكذا الشيخ محمد السوداني الذي مدحه بقوله "الفاضل والعالم الكامل ، والسيد الجليل ، والفقيه النبيل ، ذي الإرادة والإمداد والعدة والاستعداد الشيخ النوراني ، والمحقق الحمداني والسيد الفرداني "[clxxii].

نبه الورثيلاني علي باشا القرمانلي إلى ضرورة الاهتمام بالعلم وأهله بقوله " انك أهملت العلم وأهله وقصرت في حقه ما استطعت وقد فقد تدريس العلم من مدينة طرابلس من حيث لا ترى مجلساً من العلم إلا من ألهمه الله من الطلبة أن يدرس من غير أمر منك ولا معونة تكون لهم من بيت المال بسببك فرضت أن يكون بيت المال تنتفع به وحدك ويأكل اليهود والنصارى ومن لا معنى له وأوصيك أن تبني مدرسة للعلم وتحبس عليها أحباساً معلومة للعلم والمتعلم كل بحبسه فرض بذلك غير أنه أراد أن يجعلها خارج المدينة ؛ لينزل فيها الغريب ؛ والفقير بعين كلهم على ذلك ولا أدري أيدوم ذلك به أو ينسى "[clxxiii].

ويمدح الورثيلاني اجتماع العلماء والفقهاء والقضاة في طرابلس الذي يعقد يوم الاثنين من كل أسبوع لحل الخصومات ومنهم سيدي محمد السوداني ، وسيدي محمد العربي الفرجاني ، والقاضي والمفتي وحضر معهم ذات مرة[clxxiv].

وقد حضر مجالس العلماء وهم يناقشون قضايا علمية كثيرة وهكذا كانت الحالة الثقافية ومشاهدات الورثيلاني العلمية في طرابلس الغرب من خلال رحلته .

الخاتمة:

وبعد فقد تم التوصل إلى بعض النتائج والتوصيات منها:
أشارت الدراسة إلى أهمية الرحلة في تسجيل أحوال الشعوب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؛ فهي سجل حقيقي ومعين كبير لهذه الأحوال .

بينت الدراسة أهمية موقع طرابلس، وتربتها ومواردها وموانيها البحرية وطرقها التجارية.
أوضحت الدراسة نسب الورثيلاني وتعليمه ومكانته العلمية وبروزه كعالم ومتصوف في بلاد المغرب العربي ورحلته في طلب العلم.
شارت الدراسة إلى مظاهر السطح في إقليم طرابلس ووصف الورثيلاني إياها ، كما أشارت إلى الأودية التي كانت تعتمد عليها هذه البلاد إلى جانب الآبار والموارد المائية.
برزت الدراسة أن الفترة التي مر بها الورثيلاني في إيالة طرابلس كانت فترة حكم علي باشا القرمانلي الذي استمر حكمه أربعين سنة (1754-1794م).
أشارت الدراسة إلى أحوال طرابلس السياسية خلال حكم علي باشا القرمانلي حيث كثرة التمردات السياسية مما جعل الورثيلاني يقدم النصيحة للوالي القرمانلي .
أوضحت الدراسة أوضاع سرت ومصراته ومسلاته وزواره وغيرها من البلدان التابعة لطرابلس ؛ حيث المشاهدات السياسية والاقتصادية والثقافية.
أبرزت الدراسة الدور والنشاط الجهادي الذي كان يقوم به الوالي علي باشا القرمانلي وحصار فرنسا لطرابلس والقدرة القتالية لأسطول الإيالة رداً على أعمال القرصنة التي يقوم بها الأسطول الفرنسي ضد الأسطول الطرابلسي.
بينت الدراسة الطابع الزراعي والرعوي والتجاري الذي كانت عليه طرابلس في العهد القرمانلي ؛ حيث نشأت مجتمعات زراعية مستقرة في الدواخل على امتداد الساحل ؛ فتعد طرابلس من الأقاليم الزراعية المهمة.
أشارت الدراسة إلى أهم أنواع الزراعة التي كانت تزرع في طرابلس كالزيتون والنخيل والفواكه والقمح والشعير ،وبعض النباتات الدوائية ونبات الزينة .
أبرزت الدراسة حرفة الرعي وتربية الحيوانات ؛ وأهم تلك الحيوانات الأغنام والإبل والماعز والخيول.
أشارت الدراسة إلى النشاط الصناعي في طرابلس في العهد القرمانلي مثل صناعة السفن والزوارق والأثاث والزجاج والفخار والجواهر والنسيج وصناعة الملابس والجلود وعصر الزيتون والصناعات الجلدية والسجاد.
بينت الدراسة أهم الأسواق التي كانت توجد في طرابلس في العهد القرمانلي.
أبرزت الدراسة أن الورثيلاني كان صوفياً زار الأضرحة والمقامات في طريقه ووصفها ومدحها ودعا لها وهذه طبيعة العصر ؛ فقد كان للصوفية والمرابطية الحظوه الأكبر لدى الحكام والعامة من الناس.
توصي الدراسة بقراءة جيدة لكتب الرحلات المغاربية في العصر الحديث لما لها من أهمية كبرى في وصف الأحداث التي غابت عنا كثيراً نظراً لعدم العناية بهذه الرحلات تحقيقاً ودراسة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً. المصادر :

1. الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد أبوشنب ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
2. الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا، د ت.

ثانياً. المراجع :

[1]- إسماعيل، عمربن علي، أسباب سقوط الدولة القرمانلية في ليبيا، دار ابن كثير، بيروت، 2016 م.

[2]- البرغوثي، عبداللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي العربي حتى بداية العصر العثماني، دار أحياء للتراث العربي، بيروت، د ت.

[3]- الحجاجي، سالم، ليبيا الجديدة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د ت.

[4]- أبوعجيلة، محمد الهادي، النشاط البحري الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية وأثره على علاقتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1997م.

[5]- الزاوي، الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1971م.

[6]- الزاوي، الطاهر أحمد، أعلام ليبيا، مؤسسة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1971م.

[7]- الطاهر، عبدالجليل، المجتمع الليبي، دراسات اجتماعية وانثروبولوجية مكتبة صيدا، بيروت، 1969م.

[8]- الطويل، محمد سعيد، نشأة وتطور البحرية الليبية في العصر الحديث مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م.

[9]- المزيني، صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994م.

[10]- الوزان، حسن، وصف أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

[11]- بروشين، أ.ن، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة وتقديم: عماد حاتم مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

[12]- جحيدر، عمار، اليوميات الليبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.

[13]- جود يوفيس، جورج، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر، ترجمة: عبدالسلام مصطفى الباشا إمام، مراجعة: عمر الباروني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.

[14]- خشيم، علي فهمي، أحمد الزروق الزروقية، دارسة حياة وفكر ومذهب طريقه، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، طرابلس، 1920م.

[15]- روسي، أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1991م.

[16]- سيعدون، ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

[17]- شرف، عبدالعزيز طريح، جغرافيا ليبيا، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، 1971م.

[18]- عباس، إحسان، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، د ت.

[19]- فيرو، شارل، الحوليات، الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، الطبعة الثانية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983م.

[20]- منصور، علي مفتاح، الرحالة العرب ودورهم في كتابة التاريخ السياسي والاقتصادي في القرن السابع عشر والثامن عشر، حركة الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.

[21]- موسى، تيسير، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982م.

[22]- نوري، ناجي، طرابلس الغرب، ترجمة: كمال الدين إحسان أُوغلو، مكتبة الفكر، طرابلس، 1973م.

ثالثاً . الدوريات :

1. التازي، عبدالهادي، ليبيا لدى الرحالة المغاربة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد69، 2009م.
2. سيعدون، ناصر الدين، ليبيا كما وصفها رحالة جزائري، مجلة البحوث التاريخية، السنة الرابعة، العدد الأول، 1982م.

---

[i]) ناصر الدين سعيدون ، ليبيا كما وصفها رحالة جزائر ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الرابعة ، العدد الأول ، 1982م ، ص166.

[ii])الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثلانية ، (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، تحقيق

ونشر محمد أبي شنب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008، ص4.

[iii] ناصر الدين سعيدون ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م ، ص418.

[iv] الرحلة الورثيلانية، مقدمة المحقق، ص5.

[v] ناصر الدين سعيدون ، ليبيا، مرجع سابق ، ص 117.

[vi] ناصر الدين سعيدون ، من التراث ، مرجع سابق ، ص419.

[vii] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 634.

[viii] الرحلة الورثلانية ، ج1 ، ص 141.

[ix] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص 210.

[x] ناصر الدين سعيدون ، من التراث ، مرجع سابق ، ص420.

[xi] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 141.

[xii] على مفتاح منصور ، الرحالة العرب ودورهم في كتاب تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، 2005م، ص43.

[xiii] عبد الهادي التازي ، ليبيا لدى الرحالة المغاربة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد 9 ،سنة 2009م ، ص131.

[xiv] صالح مصطفى المزيني ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، منشورات جامعة قاريونس،بنغازي، 1994م ، ص 65.

[xv] المرجع نفسه ، ص ص33- 34.

[xvi] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ، ص 49.

[xvii] عبد العزيز طريح شرف ، جغرافيا ليبيا، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1971م،ص96.

[xviii] الرحلة الورثيلانية ، ج1، ص 211.

[xix] سالم الحجاجي ، ليبيا الجديدة ، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د ت، ص 56.

[xx] عبد اللطيف البرغوتي ، تاريخ ليبيا الإسلامي العربي حتى بداية العصر العثماني ، دار احياء للتراث العربي ، بيروت ، د.ت ، ص 15.

[xxi] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، صص 616 -617.

[xxii] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 38 .

[xxiii] سالم الحجاجي ، المرجع السابق ، ص 113.

[xxiv] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص38.

[xxv] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 212.

[xxvi] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 56.

[xxvii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 173.

[xxviii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 174.

[xxix] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ،صص 36 - 38.

[xxx] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 73.

[xxxi] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص ص 41 - 42.

[xxxii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 130.

[xxxiii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 179.

[xxxiv] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ، ص 105.

[xxxv] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 217 ، ج2 ، ص 616.

[xxxvi] الرحلة الوريثلانية ، ج1 ، ص216.

[xxxvii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 217.

[xxxviii] ن.أ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث ، ترجمة وتقديم: عماد حاتم ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، 1988م ، ص 128.

[xxxix] عمر علي بن اسماعيل ، أسباب سقوط الدولة القرمانلية في ليبيا ، دار ابن كثير ، بيروت ، 2016 م ، ص 47.

[xl] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص194.

[xli] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص634.

[xlii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص 144.

[xliii] الرحلة الورثيلانية ، ج2، ص 634.

[xliv] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص 635.

[xlv] الرحلة الورثيلانية ، ج2، ص 636.

[xlvi] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص ص633- 634.

[xlvii] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 635.

[xlviii] عمر علي اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 47.

[xlix] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 169.

[l] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 154.

[li] الرحلة والورثيلانية، ج1، ص 154.

[lii] الزاوية الغربية بلدة تقع على بعد أربعين كم من طرابلس وقد استمدت تسميتها من تسمية زاوية أولاد سهيل وهم قوم من الوشاحين ينتسبون إلى عمر وبن وشاح ، لمزيد من المعلومات ينظر إحسان عباس ، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، د.ت ، ص 133.

[liii] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 644.

[liv] الرحلةالورثيلانية، ج2 ، ص 646.

[lv] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 646.

[lvi] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 646.

[lvii] النوائل ينتمون إلى عرب بن زيد الذين اشتغلوا بالرعي جنوب مدينة قابس التونسية وتوجد جماعة منهم بالقرب من زوراة في ليبيا يرجعون في نسبهم إلى بني جابر المتفرعين عن الدبابنة من سلم ، الطاهرأحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1971م ، ص 108.

[lviii] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ، ص 651.

[lix] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ، صص 255 -256 .

[lx] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 217.

[lxi] محمد الهادي أبو عجيلة ، النشاط البحري الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية وأثره على علاقتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1997 م ، ص179.

[lxii] المرجع نفسه ، ص 180.

[lxiii] الرحلة الورثيلانية ، ج1 ، ص 146.

[lxiv] الرحلة الورثيلانية، ج1، ص 147.

[lxv] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ،ص 635.

[lxvi] الرحلة الورثيلانية ، ج2 ،ص 635.

[lxvii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص 146.

[lxviii] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ، ص 296.

[lxix] شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، الطبعة الثانية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983م ، ص 220.

[lxx] الرحلة الوثيلانية ،ج2 ، ص 613.

[lxxi] عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص17.

[lxxii] علي مفتاح منصور ،المرجع السابق، ص 318.

[lxxiii] المرجع نفسه، ص 319.

[lxxiv] الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، 1983م، ص 111.

[lxxv] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص116.

[lxxvi] الرحلة الورثيلانية،ج1 ،ص 119.

[lxxvii] الرحلة الورثيلانية، ج1، ص 179.

[lxxviii] الرحلة الورثيلانية،ج1 ، ص 217.

[lxxix] ناجي نوري ، طرابلس الغرب ، ترجمة: كمال الدين إحسان أوغلو ، مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1973م، ص 134.

[lxxx] الرحلة الورثيلانية ،ج2 ، ص 625.

[lxxxi] الرحلة الورثيلانية ،ج1 ، ص 179.

[lxxxii] عبد العزيز طريح شرف ، المرجع السابق، ص353.

[lxxxiii] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق، ص339.

[lxxxiv] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص 130، ج2، ص 646.

[lxxxv] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص174.

[lxxxvi] عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق ،ص 325.

[lxxxvii] الرحلة الورثيلانية، ج1، ص644.

[lxxxviii] الرحلة الورثيلانية، ج2،ص644.

[lxxxix] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق، ص 348.

[xc] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص 620.

[xci] الرحلة الورثيلانية، ج2،ص621.

[xcii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص147.

[xciii] الرحلة الورثيلانية،ج1،ص173.

[xciv] عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، صص31ـــ68.

[xcv] الرحلة الورثيلانية، ج1، ص174.

[xcvi] ناجي نوري ، المرجع السابق ،صص 107ـــ108.

[xcvii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ،صص 125ـــ126.

[xcviii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ،ص 147.

[xcix] الرحلة الورثيلانية،ج2 ، ص 610.

[c] علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ،ص 374.

[ci]) عبدالعزيز شرف، المرجع السابق، ص 379.

[cii]) عمر علي بن إسماعيل ، المرجع السابق ،ص176.

[ciii]) محمد سعيد الطويل ، نشأة وتطوير البحرية الليبية في العصر الحديث ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م، ص ص 26ـ28.

[civ]) علي مفتاح منصور ،المرجع السابق ، ص 382.

[cv]) الرحلة الورثيلانية، ج1 ،ص 147.

[cvi]) عمر علي بن إسماعيل ، المرجع السابق،ص177.

[cvii]) حسن الوزان ،المرجع السابق ، ج2، ص 97.

[cviii]) عبد العزيز طريح شرف ،المرجع السابق ، صص 179- 180.

[cix]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص 625.

[cx]) علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ، ص389.

[cxi]) جورج جوديوفيس، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر ،ترجمة: عبد السلام مصطفى الباشا إمام ، مراجعة : عمر الباروني ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس، 2001م ، صص 46-47.

[cxii]) الرحلة الورثيلانية، ج2، ص 650.

[cxiii]) شارل فيرو ،المرجع السابق ، ص335.

[cxiv]) الرحلة الورثيلانية، ج2،ص 650

[cxv]) الرحلة الورثيلانية،ج2، ص651.

[cxvi])علي مفتاح منصور ،المرجع السابق ، ص 391.

[cxvii]) الرحلة الورثيلانية، ج1 ، ص 219.

[cxviii]) علي مفتاح منصور ،المرجع السابق ، ص 393.

[cxix]) عمر علي بن إسماعيل ،المرجع السابق ، ص 175.

[cxx]) عبد اللطيف البرغوثي ،المرجع السابق ، ص 220.

[cxxi]) عمر علي بن إسماعيل ،المرجع السابق ، ص 176.

[cxxii]) أتوري روسي ، ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب طرابلس، 1911م، صص 155-175.

[cxxiii]) عمر علي بن إسماعيل ،المرجع السابق،ص 174.

[cxxiv]) علي مفتاح منصور ،المرجع السابق، ص 413.

[cxxv]) الطاهر الزاوي : معجم البلدان ، مرجع سابق ص 197.

[cxxvi]) علي مفتاح منصور، المرجع السابق ،ص 48.

[cxxvii]) الرحلة الورثيلانية، ج1 ،ص 154.

[cxxviii]) علي مفتاح منصور ،المرجع السابق،ص418.

[cxxix]) الرحلة الورثيلانية، ج2،ص 613.

[cxxx]) الرحلة الورثيلانية،ج2،ص 625.

[cxxxi]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص 626.

[cxxxii]) تيسير بن موسى ،المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا ،1988 م، ص 201.

[cxxxiii]) الرحلة الورثيلاني، ج2، ص 626.

[cxxxiv]) علي مفتاح منصور ، المرجع السابق ،ص 451.

[cxxxv]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص 154.

[cxxxvi]) ناصر الدين سعيدوني، ليبيا ،مرجع سابق ، ص 163.

[cxxxvii]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ، صص 634-635.

[cxxxviii]) الرحلة الورثيلانية،ج2،ص 611.

[cxxxix]) الرحلة الورثيلانية، ج2، ص 222.

[cxl]) الرحلة الورثيلانية، ج2،ص 650.

[cxli]) الرحلة الورثيلانية ج2،ص 646.

[cxlii]) ناصر الدين سعيدون، ليبيا ، مرجع سابق ص 122.

[cxliii]) ناصر الدين سعيدوني، ليبيا ، مرجع سابق صص 122-123.

[cxliv]) الرحلة الورثيلانية، ج1،ص 217.

[cxlv]) الرحلة الورثيلانية، ج1 ،ص 227.

[cxlvi]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ،صص 650-651.

[cxlvii]) الرحلة الورثيلانية، ج2 ،ص 611.

[cxlviii]) الرحلة الورثيلانية، ج2،ص 650.

[cxlix]) الرحلة الورثيلانية، ج1 ،ص 147.

[cl]) الرحلة الورثيلانية، ج2،ص 645.

[cli]) الرحلةالورثيلانية،ج2 ، ص 615.

[clii]) أحمد النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا ، د.ت،ص 255.

[cliii] تيسير بن موسى ، المرجع السابق، ص 78.

[cliv] المرجع نفسه ، ص 79.

[clv] بني غازي ، كانت قديماً تسمى (برنيق) ثم استوطنها رجل صالح يعرف بسيدي غازي سنة 1450موتوفي ودفن بها بمقبرة سيدي خريبش ، وسميت باسمه ، للمزيد انظر ، الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق،ص 64.

[clvi] المرجع نفسه ، ص17.

[clvii] تيسير بن موسى ،المرجع السابق ، صص 86-87.

[clviii] عمار جحيدر،اليوميات الليبية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001م، اليومية رقم 586، ص 23.

[clix] المرجع نفسه ، ص ص23-24.

[clx] عبد الجليل الطاهر ، المجتمع الليبي ، دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية ، مكتبة صيدا ، بيروت، 1969م،ص 168،

[clxi] المرجع نفسه،ص ص 169- 170.

[clxii] ناصر الدين سعيدوني، ليبيا ، مرجع سابق ص 119.

[clxiii] الرحلة الورثيلانية، ج1 ،صص 141- 144.

[clxiv] الرحلةالورثيلانية،ج1 ، ص 141.

[clxv] الرحلة الورثيلانية،ج2 ،ص708.

[clxvi] الشيخ احمد الزروق، ولد في سنة 1442م واسمه كاملاً شهاب الدين ابو العباس احمد بن احمد الله محمد بن عيسى برنسي الفاسي ، ولقب زروق ورثه عن جده الذي كان ازرق العينين ، له زاوية تعرف بزاوية الزروق بمصراتة ، انظر: علي فهمي اخشيم ، احمد زروق الزروقية ، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، طرابلس، 1920 م ، ص21 ، الطاهر احمد الزاوي ، اعلام ليبيا، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا 1971 ، صص 83 - 84.

[clxvii] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص715.

[clxviii] الرحلة الورثيلانية،ج2 ، ص717 .

[clxix] الرحلة الورثيلانية، ج2، ص ص717-718.

[clxx] الرحلة الورثيلانية، ج2، ص 718.

[clxxi] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص ص717-718.

[clxxii] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص728.

[clxxiii] الرحلة الورثيلانية، ج2 ، ص ص730-731.

[clxxiv] الرحلة الورثيلانية،ج2 ، ص 732.